مصطلح "الرباط" المفهوم والدلالة

د. إكرام شقرون

أستاذة باحثة في تاريخ وحضارة الإسلام

وجدة – المملكة المغربية

الاستشهاد المرجعي بالمقال:

إكرام شقرون، مصطلح الرباط: المفهوم والدلالة.- دورية كان التاريخية.- العدد الثامن عشر؛ ديسمبر ٢٠١٢. ص ٦٨ – ٧٣.

www.kanhistorique.org ISSN: 2090 - 0449

خمسة أعوام من الدراسات التاريخية ٢٠٠٨ – ٢٠١٢

ملخص

شكلت الرباطات مظهرًا أساسيًا من مظاهر التطور الحضاري والعمراني التي اقترنت نشأتها في بلاد المسلمين بعصر الفتوحات، ثم تطورت باعتبار أن هذه البلاد كانت أرض جهاد ومرابطة ومثابرة. وتعرض هذه الصفحات إضاءات حول مفهوم الرباط لغةً واصطلاحًا وتطور دلالاته في التراث العربي الإسلامي.

مقدمة

يرتبط نظام المرابطة في الفكر الإسلامي بنظام الجهاد الذي يشكل سنام الإسلام، وإن لكل دولة فتية طرقها وأساليبها للحد من غارات الأعداء ومطامعهم. وقد ظهرت حاجة المسلمين إلى تحقيق هذا الهدف منذ عهد الرسول ﷺ وعهد خلفائه الراشدين رضوان الله عليهم، ولذلك لا غرابة أن تكون الدولة الإسلامية في أيامها الأولى محروسة بخطوط من الرباطات التي أصبحت تُرصّع ثغور المسلمين في البرّ والبحر. لذا سنحاول من خلال هذه الدراسة أن نسلط الضوء على مصطلح الرباط من خلال التعرف على معناه اللغوي والاصطلاحي ومصطلحات أخرى مرادفة له، وبالتالي إثبات أن الرباط الإسلامي لم تكن مهمته مقصورة على العبادة والنسك، بل كان له دور قيادي جهادي لحماية بيضة الإسلام ورد عادية المعتدين.

أولاً: مفهوم الرباط

١/١- المعنى اللغوي للرباط:

تعددت معاني الرباط في معاجم اللغة، فالكلمة مشتقة من الفعل ربَط الشيء يربطه ويربُطه ربطًا، فهو مربوط وربيط: أي شدّه وأوثقه ضد حلّه. والرباط: ما رُبط به أي شُدَّ به. ويقال: ربطت الرماح رباطًا محكمًا؛ إذا شددتها شدّا وثيقًا.[١] والرباط كذلك هو: ما تشدّ به القربة والدابة وغيرهما، والجمع ربُط.[٢] قال الأخطل يصف الأجنة في بطون الاتن:

مِثْلَ الدَّعَامِيصِ فِي الأَرْحَامِ عَائِرَةً
سُدَّ الْخَصَاصُ عَلَيْهَا فَهُوَ مَسْدُودُ
تَمُوتُ طَوْراً وَتَحْيَا فِي أَسِرَّتِهَا
كَمَا تُقَلَّبُ فِي الرُّبْطِ الْمَرَاوِيدُ[٣]

والرباط عند الأطباء: جسم ينبت في طرف العظم أبيض لَدِن شبيه بالعصب يربط الأعضاء بعضها إلى بعض ويشدّها.[٤] والرباط أيضا هو: المواظبة على الأمر. قال الفارسي: «هو ثان من لزوم الثغر، ولزوم الثغر ثان من رباط الخيل».[٥] ومنه قوله عز وجل: ﴿اصْبِرُوْا وَصَابِرُوْا وَرَابِطُوْا﴾[٦] أي: حافظوا، وقيل: واظبوا على مواقيت الصلاة.[٧] وفي الحديث عن أبي هريرة: أن رسول الله ﷺ قال: «أَلاَ أَدُلُّكُمْ عَلَى مَا يَمْحُو الله بِهِ الْخَطَايَا وَيَرْفَعُ بِهِ الدَّرَجَات؟ قَالُوْا: بَلَى يَا رَسُولَ الله، قَالَ: إِسْبَاغُ الْوُضُوءِ عَلَى الْمَكَارِهِ، وَكَثْرَةُ الْخُطَا إِلَى الْمَسَاجِدِ، وَانْتِظَارُ الصَّلاَةِ بَعْدَ الصَّلاَةِ، فَذَلِكُمُ الرِّبَاطُ، فَذَلِكُمُ الرِّبَاطُ، فَذَلِكُمُ الرِّبَاطُ».[٨]

الرباط: «مصدر رابَطْتُ أي لازمْتُ، وقيل هو ههنا اسم لما يُرْبَط به الشيء أي يُشدّ، يعني أن هذه الخلال تربط صاحبها عن المعاصي وتكفّه عن المحارم».[٩] والرباط في الأصل: مصدر للفعل: رَابَط يُرَابِطُ مُرَابَطَةً وَرِبَاطًا من باب قاتل إذا لازم ثغر العدو،[١٠] ورباط الخيل مُرابطتُها.[١١] قال القتيبي: «أصل المرابطة أن يربط كل من الفريقين خيولهم في ثغره، وكل معد لصاحبه، فسمي المقام في الثغر رباطاً».[١٢] فيكون معنى قوله عز وجل: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اصْبِرُوا وَصَابِرُوا وَرَابِطُوا﴾[١٣]: اصبروا على دينكم وصابروا عدوّكم ورابطوا أي: أقيموا على جهاده بالحرب.[١٤] وقوله تعالى: ﴿وَأَعِدُّوا لَهُمْ مَا اسْتَطَعْتُمْ مِنْ قُوَّةٍ وَمِنْ رِبَاطِ الْخَيْلِ﴾[١٥] بمعنى المرابطة في الحرب.[١٦] قال الأزهري: وأصْلُ الرباط من مرابطة الخيل وهو ارتباطها بإزاء العدوّ في بعض الثغور.[١٧]

قال الشاعر:

أَمَرَ الإِلَهُ بِرَبْطِهَا لِعَدُوِّهِ فِي الْحَرْبِ إِنَّ الله خَيْرُ مُوَفِّقِ

ورباط الخيل فضل عظيم ومنزلة شريفة.[١٨] ويقال: ربط الله تعالى على قلبه أي ألهمه الصبر وشدّه وقوّاه.[١٩] ومنه قوله تعالى: ﴿لَوْلا أَنْ رَبَطْنَا عَلَى قَلْبِهَا﴾،[٢٠] وكذا قوله عزّ وجلّ ﴿وَرَبَطْنَا عَلَى قُلُوبِهِم إِذْ قَامُواْ فَقَالُواْ رَبُّنَا رَبُّ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ﴾،[٢١] أي ألهمناهم الصبر. ويقال: رجلٌ رَابِطُ الجأش ورَبيط الجأش أي شجاع شديد القلب كأنّه يربطُ نفسه عن الفرار، يكفها بجرأته وشجاعته.[٢٢] على أن كل هذه المعاني تلتقي عند أصل واحد هو الشدّ والثبات. قال ابن فارس في مادة (ربط): «الراء والباء والطاء أصل واحد يدل على شدّ وثبات».[٢٣]

٢/١- المعنى الاصطلاحي للرباط:

يطلق لفظ "الرباط" في الاصطلاح العربي على كلّ موضع حصين يُنشأ على الحدود، يقيم فيه ويلازمه أولئك الذين نذروا أنفسهم للجهاد في سبيل الله، ورغبة في نيل ثوابه، وتأهبوا بخيولهم وعدتهم، مستعدين للدفاع عن حدود البلاد وحراستها، وصدّ هجمات الأعداء وغاراتهم، ومراقبة تحركاتهم، وهم يقضون وقت فراغهم بالمجاهدة النفسية عن طريق إقامة العبادات من صلاة طويلة، وصيام مستمر وتلاوة دائمة للذكر الحكيم، كأنهم يعدّون أنفسهم لنيل شرف الشهادة في سبيل الله، وفي سبيل العقيدة والمبادئ، وحماية الأوطان، دون أي طمع مادي في الأجر والحصول على المرتبات.[٢٤]

وذهب الشيخ السهروردي إلى أن «أصل الرباط: ما يربط فيه الخيول، ثم قيل لكل ثغر يدفع أهله عمن وراءهم رباط».[٢٥] وقد عرفه المستشرق الهولندي دوزي بأنه «ثكنة عسكرية محصنة تبنى على حدود الدولة، وكان يقيم بها عدا الكتائب العسكرية رجال من أهل التقوى، ليجاهدوا في سبيل الله، ويحصلوا بذلك على الأجر والثواب الذي يحصل عليه المجاهدون ضد الكفار».[٢٦] أما جورج مارسيه فقد عرّفه بأنه: «زاوية إسلامية محصنة (...) والرباط في الأصل هو المكان يجتمع فيه الفرسان ويتكأكئون متأهبين للقيام بحملة من الحملات. ويتصل الرباط أيضًا اتصالاً وثيقًا بمعنى تجهيز نقلة البريد والقوافل بالخيل. على أن هذه الكلمة أطلقت من عهد متقدم على منشأة دينية وحربية في آن اختص المسلمون بها دون غيرهم. ويتصل نظام الرباط بالجهاد أي الذب عن بلاد الإسلام».[٢٧] ويعني ذلك أن الرباط: مكان له صفتان: الأولى حربية، على حساب بنائه الذي يشبه القلعة المحصنة، وذلك للذود عن حوزة الإسلام. والثانية دينية ثقافية لتعليم المرابطين الثقافة الإسلامية والمعارف الدينية.[٢٨]

على أن كلمة الرباط تحولت عن مفهومها العسكري المرتبط بالجهاد التطوعي في سبيل الله، وأصبح لها نفس معنى "الخانقاه" و"التكية" و"الزاوية" بالنسبة لأصحاب الطرق الصوفية، بل إن كلمة "المرابط" نفسها تستعمل اليوم بمعنى رجل الدين أو الشيخ الفقيه. ويتكامل التعريفان الفقهي والصوفي للرباط، فالفقهاء يعرفونه بأنه «عبارة عن احتباس النفس في الجهاد والحراسة»،[٢٩] و«شعبة من شعب الجهاد، وهو ملازمة الثغور لحراسة من بها من المسلمين (...) والأجر فيه على قدر الخوف من ذلك الثغر وحاجة أهله إلى حراستهم من العدو».[٣٠] في حين إن الصوفية يطلقونه على المكان الذي يلتقي فيه صالحو المؤمنين لعبادة الله وذكره والتفقه في أمور الدين والدنيا.[٣١]

ويعرف الملازمون للربط بالمرابطين أو المرابطة. وهم الذين يحرسون الثغور، ويدفعون بدعائهم وسيوفهم الخطر عن البلاد. قال محمود شيت خطاب «المرابطة: الحامية من الجيش النظامي أو من المجاهدين، ومن الخيل والدروع والمدفعية تلزم الثغر مما يلي العدو»،[٣٢] وتطلق الكلمة أيضًا على الزهّاد والعبّاد، وكذلك على حرّاس القوافل والطرق. وعلى هذا، فالرباطات هي المدن العسكرية المشحونة بالمتطوعين من المجاهدين، الذين كانوا يتناوبون على مراقبة تحركات العدو، بعضهم يقوم بهذه المراقبة وسائرهم يزاولون عملهم اليومي المعتاد، حتى إذا لاحت سفن العدو، نفروا جميعًا لمواجهتها وأنذروا من يليهم من المسلمين بالخطر الداهم عليهم.[٣٣] ويجمع هؤلاء المرابطون بين حياة الجهاد من ناحية وحياة العبادة والزهد من ناحية أخرى، إلا أنه مع انتشار التصوف غلبت صفة الانقطاع للعبادة على هذه المؤسسات، فأقيمت أعداد كبيرة منها في مختلف الأنحاء وداخل المدن بعيداً عن الحدود، لتعيش فيها مجموعات من الصوفية تعكف على حياة العبادة والزهد والاشتغال بالعلم والمعرفة، ولم تلبث هذه المؤسسات أن غدت مراكز للثقافة والتهذيب الروحي والتربوي ومأوى للمسافرين والمحتاجين وأبناء السبيل.

وقارن النويري بين رباط الحرب ورباط النفس قائلا: «والمرابطة في سبيل الله تعالى تنزل من الجهاد والقتال منزلة الاعتكاف في المساجد من الصلاة، لأن المرابط يُقيم في وجه العدوّ متأهِّبًا مستعدًّا، حتى إذا أحسّ من العدو بحركة أو غفلة نهض فلا يفوته ولا يتعذّر عليه، كما أن المعتكف يكون في موضع الصلاة مستعدّا،

دورية إلكترونية .مُحكّمة .ربع سنوية ISSN: 2090 – 0449

فإذا دخل الوقت وحضر الإمام قام إلى الصلاة. قال الحليميّ: ولا شك أن المرابطة أشق من الاعتكاف، على أن صرف الهمة إلى انتظار الصلاة قد سمي رباطًا لما جاء في الحديث فيما يكفر الخطايا «وانتظار الصلاة بعد الصلاة فذلكم الرباط».[٣٤] ولاتخاذ الربط والزوايا أصل من السنة: «وهو أن رسول الله ﷺ اتخذ لفقراء الصحابة الذين لا يأوون إلى أهل ولا مال مكاناً من مسجده كانوا يقيمون به، عرفوا بأهل الصفة».[٣٥] هذا وقد غلبت على الربط هذه الظاهرة لا سيما بعد توقف الفتوحات، إذ أقبل الناس عليها، فأنشأوا كثيراً منها، وأوقفوا عليها الأوقاف الضخمة لتكون مأوى للفقراء والمنصرفين إلى ذكر الله المرابطين بها.

ثانيًا: مصطلحات أخرى مرادفة للرباط

أطلق على الرباط تسميات عسكرية منها:

٢/١- المحرس: الذي يعرف به الرباط، نظرًا لقيام ساكنيه بحراسة الثغور وتأمين الطرق، حيث نجد ابن دقماق في كتابه "الانتصار" يذكر ثمانية محارس،[٣٦] كإشارة إلى مهمة الربط في حراسة البلاد. وقد شاعت هذه التسمية في شمال إفريقيا، حيث إن البكري والتجاني يشيران إلى عدد من محارس إفريقية.[٣٧] مما يدل على ترادف لفظتي الرباط والمحرس.

٢/٢- لقصر: اسم يدل على التحصين والمنعة،[٣٨] وربما تمّ الجمع بين اسمي القصر والرباط، فيقال: قصر الرباط، كما في تسميتهم لرباطي المنستير وسوسة بإفريقية.

٢/٣- الحصن: وقد شاعت هذه التسمية في الأندلس، كما في تسميتهم لحصن قاصرش وغيره، لتحصين هذا النوع من الربط تحصينًا بالغًا.[٣٩]

٢/٤- القلعة: هي الحصن المنيع، فرباطات بنزرت بإفريقية كان يطلق عليها اسم القلاع.[٤٠]

٢/٥- البرج أو الناظور: قد يكون جزءً من الرباط، وتتم منه عملية الحراسة والمراقبة، وهو يبنى على الأماكن العالية المشرفة على البحر من أجل رؤية المراكب المعادية قبل اقترابها من الساحل، وهو أيضًا وسيلة اتصال عن طريق إيقاد النيران إنذارًا بقدوم العدو،[٤١] حيث نجد البكري يشير إلى رباط في قرطاجنة يُعرف ببرج أبي سليمان.[٤٢] بالإضافة إلى حديث محمد بن القاسم الأنصاري عن الناظور الموجود بمدينة سبتة.[٤٣]

٢/٦- المسجد: هو كل موضع يتعبد فيه، ويصبح المسجد رباطًا عند إقامة محرس به، حيث نجد الدباغ يتحدث عن مسجد الأنصار بالقيروان الذي يوجد بقربه محرس.[٤٤] وأطلق التجاني على بعض الرباطات الموجودة على الساحل الليبي اسم المساجد،[٤٥] أما البكري فيستعمل تركيباً يجمع فيه بين المسجد والرباط كقوله: مسجد رباط جبل إسبرتيل.[٤٦]

٢/٧- المنستير: لفظة شائعة الاستعمال في اللغة الإغريقية **Monasterion** ثم اللاتينية **Monasterium**، كانت تطلق على المؤسسة النصرانية التي يؤمها الرهبان، والتي تسمى بالعربية: الدير[٤٧]، قال الشهاب الخفاجي: المنستير «لفظ رومي معناه عندهم خانقاه للرهبان على الطريق ينزل فيه أبناء السبيل».[٤٨] ويذهب حسن حسني عبد الوهاب إلى أن العرب أطلقوا لفظة «منستير» على الوحدة المعمارية المشتركة بين الحصن والدّير التي ظهرت في القرن الثاني للهجرة/ الثامن الميلادي، وقبل استعمال كلمة «رباط» في مدلولها العربي الخاص، وأنهم أخذوها عن البيزنطيين الذين كانت لهم منشآت كبيرة على النحو المشترك بين الأديرة والحصون الحربية، وهو لذلك لا يستبعد أن تكون لفظة «منستير» شائعة الاستعمال في المشرق العربي خاصة بسواحل سوريا وفلسطين.[٤٩] إلا أننا نجد أن هذا اللفظ لا يطلق إلا على بعض المواضع في الغرب الإسلامي وخاصةً بإفريقية. حيث يذكر ياقوت الحموي في هذا السياق أن اسم المنستير كان يطلق على:

- المنستير: وهو موضع بين المهدية وسوسة من أرض إفريقية، بينه وبين كلّ واحدة منهما مرحلة، وهو مَعْبدٌ يجتمع فيه الزُهّاد والمنقطعون للعبادة، وفيه عدة قصور مبنية (...)، وأهل إفريقية يحسنون مراعاة سكّانه بالبرّ ويُمدّونهم بالقوت والكفاية[٥٠].

- منستير عثمان: موضع آخر بإفريقية، بيْنه وبيْن القيروان ستة مراحل، وبينه وبيْن باجة ثلاثة مراحل، وهو بلد فيه جامع وفنادق كثيرة وأسواق وحمّامات، وبئر لا تنزف، وقصر للأول مبني بالصخر كبير. وأهله قوم من قريش، ويقال إنّ أوّل من بناه الربيع بن سليمان عند دخوله إفريقية.[٥١]

- منستير الأندلس: يقع في شرقها بين لقنت وقرطاجنة.[٥٢] ويرجع تاريخ تأسيسه إلى سنة ٣٣٣هـ/٩٤٤م حسب نقيشة تذكارية محفوظة بالمتحف الأثري بمرسية تمّ العثور عليها سنة ١٨٩٧م، وقد أشرف على بنائه بعض النازحين من إفريقية ممن كانوا في خدمة الدولة الأغلبية.[٥٣] واستمرت الأبحاث وعمليات التنقيب حول هذا المعلم، حيث تمكن باحث الآثار Rafael Azuar-Ruiz من اكتشاف ما يصل إلى اثنين وعشرين مسجدًا صغيرًا مجمّعة في أعلى الكثبان على الساحل بجوار مدينة كواردمار Guardamar الساحلية، على الضفة اليمنى الجنوبية، عند مصب نهر شقورة Ségura ، أطلق عليها اسم رباط الخلافة.[٥٤]

ولا يفوتنا في هذا الصدد الإشارة إلى؛ ما ذهب إليه الباحث الإسباني Mikel de Epalza في إحدى دراساته من أن لفظ «المنستير» ليس اسم مكان من أصل يُوناني-لاتيني، بقدر ما هو اسم المؤسسة الإسلامية ذاتها التي انتشرت في الغرب الإسلامي انطلاقًا من منستير إفريقية. وما عبارة «رباط المنستير» سوى تجميع إعلامي لمصطلحين عربيين يعنيان حقيقة واحدة في عصور مختلفة: «المنستير» إلى حدود القرن الحادي عشر الميلادي، و«الرباط» انطلاقًا من القرن الحادي عشر الميلادي، واستند في ذلك إلى وجود «منستير شرق الأندلس».[٥٥]

دورية إلكترونية .مُحكّمة .ربع سنوية ISSN: 2090 – 0449

وبالإضافة إلى هذه المواضع التي ذكرها ياقوت الحموي، نجد صاحب الاستبصار يذهب إلى أن «النصف الثاني من غابة قفصة يسقى من عين عظيمة خارج المدينة تسمى "عين المنستير"، وهي عين كبيرة معينة عذبة يخرج منها نهر كبير. وهذه العين من أحسن ما يرى من العيون، وهي في جانب النهر المسمى بوادي بايش».[٥٦] كما أنه بالقرب من مدينة غار الملح التونسية توجد «عين المنستير» و«رأس المنستير» ما بين بلدتي سُونين ورفراف، وحسب الزركشي فإن هذه الأخيرة كان لها «محرس» (رباط).[٥٧]

هذا وتجدر الإشارة إلى؛ أن الرباط الإسلامي ليس تقليدًا للمنستير (Monastère) عند النصارى كما ذهب إلى ذلك بعض المستشرقين، باعتبار أن هذا الأخير كانت مهمته مقصورة على العبادة والنسك والانقطاع عن الناس، وهو بهذا نوع من دور انقطاع الرهبان، في حين ترتكز فكرة الرباط الإسلامي إلى أصل قرآني جهادي، باعتبار أن الرباط في الإسلام قاعدة حربية قوية لصد أعداء الله وقتالهم.[٥٨] وهو ما أكده الدكتور العدوي بقوله: «عرف البيزنطيون نظام الأديرة المسلحة، وهي الأماكن التي انقطع فيها الرهبان للعبادة واجتمعوا فيها سويا لخدمة مطالبهم مبتعدين عن الحياة وزخرفها الباطل. ولكن لا توجد شواهد قاطعة على اشتراك أشباه أولئك الرهبان المقيمين في الأديرة المسلحة في العمليات الحربية التي قامت بها الدولة البيزنطية ».[٥٩] في حين اجتذبت الرباطات البحرية الأتقياء المتحمسين الحريصين على الجهاد لحماية بيضة الإسلام ورد عادية المعتدين. بل إن أحد كبار المؤرخين الإسبان المحدثين أ.كاسترو ذهب إلى أنه «قبل ظهور النظم الديرية العسكرية لدى النصارى بقرون، كان لدى المسلمين الرباطات التي كان يعتكف فيها الزهاد للعبادة والدفاع عن الحدود. وهكذا، فإننا نجد اليوم في كل من إسبانيا والبرتغال أماكن كثيرة تحمل اسم (Rabida, Rapita) وما احتفاظ الإسبان والبرتغاليين بأسماء هذه الأماكن سوى دليل على وجود رباطات إسلامية هناك كانت تحمل هذا الاسم من قبل».[٦٠]

٨/٢- الرابطة: وتجمع على روابط، وهي كوكبة من الفرسان تقوم بدور العسس.[٦١] ولقد أطلقت كلمة "رابطة" في الماضي على الثكنة العسكرية المخصصة للمجاهدين المتطوعين، ثم أصبحت تطلق على المكان الذي يأوي إليه أهل الطرق الصوفية للإقامة والطعام والتفرغ للعبادة وذكر الله.[٦٢] والرابطة أيضًا: «صومعة يعتزل فيها رجل من الصالحين يعيش محاطاً بأتباعه ومريديه»،[٦٣] وقد سمّى المؤرخون "رابطة" المكان الذي أقام فيه عبد الله بن ياسين وجماعة من اللمتونيين الصنهاجيين في إحدى الجزر الساحلية بأقصى الجنوب المغربي وذلك في النصف الأول من القرن الخامس الهجري، وتلاحق الصنهاجيون برابطة ابن ياسين لينقطعوا معه فيها إلى عبادة الله تعالى وليتعلموا منه أمور دينهم إلى أن بلغ عددهم نحو ألف رجل، فدعاهم لجهاد القبائل الزائغة عن تعاليم الإسلام، وتطور أمرهم إلى أن كونوا دولة المرابطين[٦٤].

مما يدل على تطور مفهوم الرباط الذي أصبح مأوى للفقراء والصوفية، والمرابطة فيه تهدف إلى مرابطة النفس الأمارة بالسوء ومجاهدتها، وقتال شهواتها بالعزلة وتقديم الطاعات من صلاة وصيام، وتهذيب روحي، واستزادة من العلم والمعرفة. فظهرت تسميات جديدة له منها:

٩/٢- الخانقاه (أو الخانقة أو الخانكاه): الجمع/ خوانق وخانقاوات، كلمة فارسية تطلق في المشرق على المكان الذي يتعبد فيه الشيوخ والدراويش والمرشدون يجرون فيه مراسم تصوفهم.[٦٥] وقيل سُمِّي خانقاه من الخنق لتضييقهم على أنفسهم.[٦٦] على أن الخوانق لم تلبث أن نهضت برسالة اجتماعية واضحة، فغدت مأوى للغرباء.

١٠/٢- التكية: الجمع/ تكايا، وهي كلمة غامضة الأصل، وردت فيها عدة اجتهادات، وقد أطلق العثمانيون على الخانقاه اسم التكية، باعتبارها «مأوى "الفقراء" من الصوفية، وأصحاب الطرق ومكان لممارسة التعبد والخلوة والانقطاع، ومنتدى يجتمعون فيه، ويمارسون فيها شعائرهم الدينية كإقامة الأذكار والموالد النبوية».[٦٧]

١١/٢- الزاوية: الجمع/ زوايا، وقد عرفت بأنها: «مدرسة دينية ودار مجانية للضيافة»،[٦٨] باعتبارها موضعًا مخصصًا للتعبد وإيواء المحتاجين وإطعامهم، وهم يحيون فيها حياة التقوى ويتلقون فيها تعليمًا إسلاميًا من خلال عقد حلقات دراسية. وتطلق الزاوية أيضا على المكان الذي يجتمع الزهاد فيه حول شيخ من الشيوخ أو حول ضريح واحد منهم.[٦٩] هذا ولم يعرف المغرب الزوايا بهذا المعنى إلا بعد القرن الخامس الهجري، وسميت بادئ الأمر "دار الكرامة"، كالتي بناها يعقوب المنصور الموحدي بمراكش، ثم أُطلق اسم "دار الضيوف" على ما بناه المرينيون من الزوايا،[٧٠] فكان لها دور مهم في نشر الوعي الديني والثقافي وتحرير البلاد من سيطرة الاحتلال الأجنبي.

خاتمة

وهكذا؛ يتضح من خلال دراسة مصطلح الرباط أنه كان له دور حضاري كبير في مجال العمارة والتعليم، فنجح في توسيع المجال الجغرافي للثقافة الإسلامية، وبالتالي ترسيخ الشريعة الإسلامية وتعميق الإشعاع الروحي، كما كان له دور جهادي يتجلى في مراقبة تحركات العدو، وحراسة مناطق الثغور، ودفع الشرور عنها، وبذلك يكون قد حقق الهدف الذي أنشئ من أجله في تثبيت دعائم الإسلام.

دورية إلكترونية .مُحكّمة .ربع سنوية ISSN: 2090 – 0449

الهوامش:

(١) ابن فارس (أبو الحسين أحمد)، **معجم مقاييس اللغة**، تحقيق: عبد السلام محمد هارون، دار الفكر، القاهرة، ١٩٧٩، مادة (ربط)، ج٢ ، ص: ٤٧٨. وابن منظور (أبو الفضل جمال الدين محمد بن مكرم)، **لسان العرب**، ط.٣، دار صادر، بيروت، ١٩٩٤، مادة (ربط)، مج٧، ص: ٣٠٢. والفيروزآبادي (مجد الدين)، **القاموس المحيط**، دار الحديث، القاهرة، د.ت، مادة (ربط)، ج٢، ص: ٣٦٠. والزبيدي (محمد مرتضى)، **تاج العروس من جواهر القاموس**، دار مكتبة الحياة، بيروت، د.ت، مادة (ربط)، مج٥، ص: ١٤١.

(٢) ابن فارس، **معجم مقاييس اللغة**، م.س، ج٢، ص: ٤٧٨. وابن منظور، **لسان العرب**، م.س، مج٧، ص: ٣٠٣.

(٣) ابن منظور، **لسان العرب**، م.س، مج٧، ص: ٣٠٣-٣٠٤. والزبيدي، **تاج العروس**، م.س، مج٥، ص: ١٤١.

(٤) الكَرمي (حسن سعيد) ، **الهادي إلى لغة العرب**، ط.١، دار لبنان، بيروت، ١٩٩١، مادة (ربط)، ج٢، ص: ١٢١.

(٥) ابن منظور، **لسان العرب**، م.س، مج٧، ص: ٣٠٢، والفيروزآبادي، **القاموس المحيط**، م.س، ج٢، ص: ٣٦٠. والزبيدي، **تاج العروس**، م.س، مج٥، ص: ١٤١.

(٦) **سورة آل عمران**، الآية: ٢٠٠.

(٧) ابن سيده (أبو الحسن علي بن إسماعيل)، **كتاب المخصّص**، المكتب التجاري للطباعة والتوزيع والنشر، بيروت، د.ت، (باب محابس الخيل)، مج٢، ص: ١٨٣.

(٨) ابن أنس (مالك)، **كتاب الموطأ**، صححه ورقمه وخرّج أحاديثه، وعلق عليه: محمد فؤاد عبد الباقي، المكتبة الثقافية، بيروت، ١٩٨٨، (باب الجهاد)، ج١، ص: ١٦١. والإمام مسلم (أبو الحسين مسلم بن الحجاج القشيري النيسابوري)، **صحيح مسلم**، تحقيق وتعليق: محمد فؤاد عبد الباقي، ط.١، دار إحياء التراث العربي، بيروت، ١٩٥٥، (كتاب الطهارة)، (باب إسباغ الوضوء على المكاره)، رقم٤١، مج١، ص: ٢١٩.

(٩) ابن منظور ، **لسان العرب**، م.س، مج٧، ص: ٣٠٢-٣٠٣. والزبيدي، **تاج العروس**، م.س، مج٥، ص: ١٤١.

(١٠) ابن فارس، **معجم مقاييس اللغة**، م.س، ج٢، ص: ٤٧٨. والصغاني (الحسن بن محمد بن الحسن)، **العباب الزاخر واللباب الفاخر**، تحقيق: الشيخ محمد حسن آل ياسين، ط.١، دار الرشيد، بغداد، ١٩٨٠، مادة (ربط)، ص: ٦٧.

(١١) الجوهري (إسماعيل بن حمّاد)، **الصِّحاح تاج اللغة وصحاح العربيّة**، تحقيق: أحمد عبد الغفور عطّار، ط.٤، دار العلم للملايين، بيروت، يناير ١٩٩٠، مادة (ربط)، ج٣، ص: ١١٢٧. وابن منظور، **لسان العرب**، م.س، مج٧، ص: ٣٠٢. والزبيدي، **تاج العروس**، مج٥، ص: ١٤١.

(١٢) ابن سيده، **كتاب المخصّص**، م.س، مج٢، ص: ١٨٣. والصغاني، **العباب الزاخر**، م.س، ص: ٦٧. وابن منظور، **لسان العرب**، م.س، مج٧، ص: ٣٠٢. والفيروزآبادي، **القاموس المحيط**، م.س، ج٢، ص: ٣٦٠-٣٦١.

(١٣) **سورة آل عمران**، الآية: ٢٠٠.

(١٤) الأزهري (أبو منصور محمد بن أحمد)، **تهذيب اللغة**، تحقيق: أحمد عبد العليم البردوني وعلي محمد البجاوي، الدار المصرية للتأليف والترجمة، القاهرة، د.ت، مادة (ربط)، ج١٣، ص: ٣٣٨. والمطرزي (أبو الفتح ناصر بن عبد السيد بن علي)، **كتاب المغرب في ترتيب المعرّب**، دار الكتاب العربي، بيروت، د.ت ، ص: ١٨١.

(١٥) **سورة الأنفال**، الآية: ٦٠.

(١٦) الأزهري، **تهذيب اللغة**، م.س، ج١٣، ص: ٣٣٨. وابن منظور، **لسان العرب**، م.س، مج٧، ص: ٣٠٣.

(١٧) **تهذيب اللغة**، م.س، ج١٣، ص: ٣٣٨.

(١٨) القرطبي (أبو عبد الله محمد بن أحمد الأنصاري)، **الجامع لأحكام القرآن**، ط.٣، دار الكاتب العربي، القاهرة، ١٩٦٧، ج٨، ص:٣٦.

(١٩) الأزهري، **تهذيب اللغة**، م.س، ج١٣، ص: ٣٣٩. والزبيدي، **تاج العروس**، م.س، مج٥، ص١٤٢.

(٢٠) **سورة القصص**، الآية: ١٠.

(٢١) **سورة الكهف**، الآية: ١٤.

(٢٢) ابن منظور، **لسان العرب**، مج٧، ص: ٣٠٣، والفيروزآبادي، **القاموس المحيط**، م.س، ج٢، ص: ٣٦١. والزبيدي، **تاج العروس**، م.س، مج٥، ص: ١٤٢.

(٢٣) **معجم مقاييس اللغة**، م.س، ج٢، ص: ٤٧٨.

(٢٤) السّرحان (مُحيي هلال)، **«الرُّبط الإسلامية: تعريفها وتاريخها ودورها في الدّفاع عن الحُدود»**، مجلة المورد، المجلد الرابع عشر، العدد الثالث، وزارة الثقافة والإعلام، بغداد، خريف ١٩٨٥م، ص: ٦٩.

(٢٥) السهروردي (عبد القاهر بن عبد الله)، **عوارف المعارف**، ط.١، دار الكتاب العربي، بيروت، ١٩٦٦، ص: ١٠٤.

(٢٦) دُوزي (رينهارت)، **تكملة المعاجم العربية**، تعريب وتعليق: الدكتور محمد سليم النعيمي، دار الرّشيد للنشر، منشورات وزارة الثقافة والإعلام، الجمهورية العراقية، ١٩٨٢، مادة (رباط)، ج٥، ص: ٧١.

(٢٧) مارسيه (جورج)، **دائرة المعارف الإسلامية**، ترجمة الشنتاوي، دار الفكر، القاهرة، د.ت، مادة (رباط)، المجلد ١٠، ص: ١٩.

(٢٨) عطيّة الله (أحمد)، **القاموس الإسلامي**، مكتبة النهضة المصرية، القاهرة، مايو ١٩٦٦، مج٢، ص: ٤٨٧.

(٢٩) ابن مرزوق (محمد التلمساني)، **المسند الصحيح الحسن في مآثر ومحاسن مولانا أبي الحسن**، دراسة وتحقيق: الدكتورة ماريا خيسوس بيغيرا، تقسيم: محمود بوعيّاد، إصدارات المكتبة الوطنية، الجزائر، ١٩٨١، ج٢، ص: ٤١١.

(٣٠) ابن رشد (أبو الوليد محمد بن أحمد القرطبي)، **المقدّمات الممهّدات لبيان ما اقتضته رسوم المدوّنة من الأحكام الشرعيّات والتحصيلات المحكمات لأمهات مسائلها المشكلات**، تحقيق: د. محمّد حجي، ط.١، دار الغرب الإسلامي، بيروت، ١٩٨٨، ج١، ص: ٣٦٤.

(٣١) المهماه (مصطفى عبد السلام)، **المرأة المغربية والتصوف في القرن الحادي عشر الهجري**، ط.١، مطابع دار الكتاب، الدار البيضاء، ١٩٧٨، ص: ٤٤.

(٣٢) خطاب (محمود شيت)، **المصطلحات العسكرية في القرآن الكريم**، ط.١، دار الفتح، بيروت، ١٩٦٦، ج١، ص: ٢٧٦.

(٣٣) الولي (الشيخ طه) ، **"المدينة في الإسلام"**، مجلة الفكر العربي، العدد التاسع والعشرون، السنة الرابعة، بيروت، أكتوبر- نوفمبر ١٩٨٢، ص: ١٢٧.

(٣٤) النويري (شهاب الدين أحمد بن عبد الوهاب)، **نهاية الأرب في فنون الأدب**، نسخة مصورة عن طبعة دار الكتب، مطابع كوستاتسوماس وشركاه، القاهرة، السفر السادس، ص: ١٩٧.

(٣٥) المقريزي (تقيّ الدين أبي العباس أحمد بن علي) ، **كتاب المواعظ والاعتبار بذكر الخطط والآثار المعروف بالخطط المقريزية**، ط.٢، مكتبة الثقافة الدينية، القاهرة، ١٩٨٧، ج٢، ص: ٤٢٧

(٣٦) ابن دقماق (إبراهيم بن محمّد بن أيْدَمَ العلائي)، **الانتصار لواسطة عقد الأمصار في تاريخ مصر وجغرافيتها**، المكتب التجاري للطباعة والتوزيع والنشر، بيروت، د.ت، القسم الأول، ص: ١٥- ١٦- ١٨- ٢٣- ٢٥- ٢٩- ٣٦- ٣٧- ٣٩-١٠٤. والقسم الثاني، ص: ٣٧.

(٣٧) البكري (أبو عبيد)، **المسالك والممالك**، تحقيق وتقديم: أدريان فان ليُوفن وأندري فيري، الدار العربية للكتاب، والمؤسسة الوطنية للترجمة والتحقيق

دورية إلكترونية .مُحكّمة .ربع سنوية ISSN: 2090 – 0449

والدراسات: بيت الحكمة، دار الغرب الإسلامي، ١٩٩٢، ج٢، ص: ٦٦٩-٦٧٦- ٦٩١- ٦٩٢- ٧٥٩. والتجاني (أبو محمد عبد الله بن محمد بن أحمد)، **رحلة التجاني**، تقديم وتحقيق: حسن حسني عبد الوهاب، المطبعة الرسمية، تونس، ١٩٥٨، ص: ٣٠- ٦٩- ٨٥.

(٣٨) الفيروزابادي، **القاموس المحيط**، م.س، مج٢، ص: ١١٧-١١٨.

(٣٩) الشريف الإدريسي (أبو عبد الله محمّد بن محمّد بن عبد الله بن إدريس الحمّودي الحسني)، **نزهة المشتاق في اختراق الآفاق**، مكتبة الثقافة الدينية، القاهرة، ١٩٩٤، المجلد ٢، ص: ٥٥١، ٥٥٥-٥٦٢.

(٤٠) البكري، **المسالك والممالك**، م.س، ج٢، ص: ٧٢١.

(٤١) الجاسم (هاشم إسماعيل)، **"الخطة العسكرية الدفاعية للثغور البرية والبحرية حتى نهاية العصر الأموي"**، مجلة آفاق عربية، العدد٦، السنة السابعة، شباط ١٩٨٢م، ص: ٤٣.

(٤٢) **المسالك والممالك**، م.س، ج٢، ص: ٧٠٢.

(٤٣) الأنصاري (محمد بن القاسم)، **اختصار الأخبار عما كان بثغر سبتة من سني الآثار**، تحقيق: عبد الوهاب بن منصور، المطبعة الملكية، الرباط، ١٩٨٣، ص: ٣٢.

(٤٤) الدباغ (أبو زيد عبد الرحمن بن محمد الأنصاري)، **معالم الإيمان في معرفة أهل القيروان**، أكمله وعلّق عليه: ابن ناجي التنوخي، تحقيق: عبد المجيد خيالي، ط.١، دار الكتب العلمية، بيروت، ٢٠٠٥، ج١، ص: ٥٨.

(٤٥) **رحلة التجاني**، م.س، ص: ٢١٩- ٢٢٠- ٢٤٧- ٢٤٨- ٢٤٩- ٢٥٠. ولعل أشهرها بطرابلس: مسجد الشعاب- ومسجد خطاب- ومسجد المجاز- ومسجد الجدة...

(٤٦) **المسالك والممالك**، م.س، ج٢، ص: ٧٩٣.

(47) Asin (Jaime Oliver): ***«Les Tunisiens en Espagne, à travers la toponymie»***, in: les Cahiers de Tunisie, Tome XVIII, N°69-70, 1er et 2ème trimestres 1970, p. 17.

وزبيس (سليمان مصطفى)، **المنستير: ماضيها ومعالمها التاريخية**، الدار التونسية للنشر، تونس، د.ت، ص. ٣.

(٤٨) مخلوف (محمد بن محمد)، **شجرة النور الزكية في طبقات المالكية**، دار الكتاب العربي، بيروت، د.ت، القسم الثاني، ص. ١٨٩.

(٤٩) عبد الوهاب (حسن حسني)، **ورقات عن الحضارة العربية بإفريقية التونسية**، جمع وإشراف: محمد العروسي المطوي، مكتبة المنار، تونس، ١٩٧٢، القسم الثالث، ص: ٤٠٣-٤٠٤.

(٥٠) الحموي (شهاب الدين أبو عبد الله ياقوت بن عبد الله)، **كتاب المشترك وضعًا والمفترق صقعًا**، ط.٢، عالم الكتب، بيروت، ١٩٨٦، ص: ٤٠٤.

(٥١) نفسه، ص: ٤٠٤-٤٠٥. والبكري، **كتاب المسالك والممالك**، م.س، ج٢، ص: ٧١٨.

(٥٢) ياقوت الحموي، **كتاب المشترك وضعًا والمفترق صقعًا**، م.س، ص: ٤٠٥.

(53) Codera (Francisco): «***Inscription arabe de Guardamar*** », in: Boletin de la Real Academia de la Historia, Madrid, Tomo XXXI, 1897, p. 31-33.

وحسب هذه النقيشة فإن الذي أمر ببنائه هو: أحمد بن بهلول بن بنت الواثق بالله، وهو أمير عباسي من أصل مشرقي، استقرت أسرته بالقيروان في خدمة الدولة الأغلبية.

(54) Azuar Ruiz (Rafael) (éd), ***La Rábita califal de las dunas de Guardamar*** (Alicante): Cerámica, Epigrafia. Fauna. Malacofauna, Diputacion Provincial de Alicante, Alicante, 1989, p : 9, p : 13-17, p : 208-215. Azuar Ruiz (Rafael): «***Una Rábita hispanomusulmana del siglo X (Guardamar del Segura, Alicante, Espana***» in: Archéologie Islamique, N°1, 1990, p : 109-122.

(55) Epalza (Mikel de): «***Al-Munastir d'Ifriqiya et Al-Munastir de xarq-Al-Andalus***», in: Actes du VII colloque universitaire tuniso-espagnol sur: Le Patrimoine Andalous dans la culture arabe et espagnole, cahiers du C.E.R.E.S, Tunis, 1991, p :100-101.

(٥٦) ابن عبد ربه الحفيد، **الاستبصار في عجائب الأمصار**، نشر وتعليق: د. سعد زغلول عبد الحميد، دار النشر المغربية، الدار البيضاء، ١٩٨٥، ص. ١٥٢.

(٥٧) الزركشي (أبو عبد الله محمد بن إبراهيم)، **تاريخ الدولتين الموحدية والحفصية**، تحقيق وتعليق: محمد ماضور، المكتبة العتيقة، تونس، ١٩٦٦، ص. ١١٦.

Gafsi Slama (Abdelhakim): «***Des autres al-Monastir en Tunisie ?***», in: La rábita en el islam: Estudios Interdisciplinare, Actas de los congressos internacionals de Sant Carles de la Ràpita (1989, 1997), Ajuntament de Sant Carles de la Ràpita, Universidad d'Alicante, Alicante, 2004, p: 296.

(٥٨) الكتاني (يوسف)، **مدرسة الإمام البخاري في المغرب**، دار لسان العرب، بيروت، الجزء الثاني، ص: ٤٨٠ - ٤٨١.

Epalza (Mikel de): ***Al Munastir d'Ifriqiya et al-Munastir de Xarq al-Andalus***, op.cit, p100-101.

Marçais (Georges): «***Notes sur les ribats en Berbérie***» in: Mélanges d'histoire et d'archéologie de l'Occident musulman, Imprimerie officielle du Gouvernement général de l'Algérie, Alger, 1957, Tome I, p. 31-32.

(٥٩) العدوي (إبراهيم أحمد)، **الأمويون والبيزنطيون: البحر الأبيض المتوسط بحيرة إسلامية**، ط.١، دار رياض الصالحين، الفيوم، ١٩٩٤م، ص: ٦٨.

(60) Castro (Américo), ***The structure of Spanish History***, Trans. Edmund L. King. Princeton, New Jersey: Princeton University Press, 1954, p. 203-204.

(٦١) دوزي (رينهارت)، **تكملة المعاجم العربية**، م.س، ج٥، ص: ٧٢.

(٦٢) الولي (الشيخ طه)، **المساجد في الإسلام**، ط.١، دار العلم للملايين، بيروت، آب١٩٨٨، ص: ١٠٥.

(٦٣) مارسيه (جورج)، **مادة (رباط)، دائرة المعارف الإسلامية**، م.س، مج١٠، ص: ٢٤.

(٦٤) حجي (محمد)، **الزاوية الدلائية ودورها الديني والعلمي والسياسي**، ط.٢، مطبعة النجاح الجديدة، الدار البيضاء، ١٩٨٨، ص: ٢٣. ومعلمة المغرب، **مادة (رباط)**، الجمعية المغربية للتأليف والترجمة والنشر، مطابع سلا، سلا، ٢٠٠١، مج١٣، ص: ٤٢٤٢.

(٦٥) السّرحان (مُحيي هلال)، **الرُّبط الإسلامية**، م.س، ص: ٧٦.

(٦٦) الحفني (عبد المنعم)، **معجم المصطلحات الصوفية**، ط.٢، دار المسيرة، بيروت، ١٩٨٧، ص: ٨٧.

(٦٧) الآلوسي (عادل كامل)، «**الرُبط البغدادية في التاريخ والخطط**»، مجلة المورد، المجلد السابع، العدد الأول، بغداد، ١٣٩٨هـ/ ربيع ١٩٧٨م، ص: ١١٣.

(٦٨) **دائرة المعارف الإسلامية**، مادة (زاوية)، م.س، مج١٠، ص: ٣٣٢.

(٦٩) القابسي (نجاح)، «**المعاهد والمؤسسات التعليمية في العالم الإسلامي**»، مجلة المؤرخ العربي، العدد التاسع عشر، 1401هـ/1981م، ص: ١٨٤ - ١٨٦.

(٧٠) الدكالي (محمد بن علي)، **الكناشة العلمية**، مخطوط الخزانة العامة، مجموع ج 91، ورقة ٢٧٨.

دورية إلكترونية .مُحكّمة .ربع سنوية
ISSN: 2090 – 0449